

المنهج السيميائي وأثره في قراءة النص الشعري المعاصر - نماذج مختارة -

The semiotic approach and its impact on the reading of contemporary

- poetic texts - selected examples

الدكتورة : صابرة بن قرماز

sabirabengermaz@gmail.com

جامعة وهران 2

تاريخ النشر: 2025/12/26	تاريخ القبول: 2025/12/16	تاريخ الإرسال: 2025/10/13
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف أهمية المنهج السيميائي كأداة إجرائية فعّالة في مقارنة النص الشعري العربي المعاصر. انطلاقاً من فرضية أن القصيدة المعاصرة، بخصائصها البنيوية والدلالية المعقدة، تتجاوز حدود المقاربات النقدية التقليدية، يقدم هذا المقال السيميائيات بوصفها منهجاً علمياً قادراً على تفكيك أنظمة العلامات المتشابكة داخل النص الشعري والكشف عن آليات إنتاج المعنى فيه. يتناول البحث في شقه النظري أبرز المفاهيم السيميائية المؤسسة (العلامة، الدال والمدلول، الرمز، الأيقون، المؤشر، التناص، سيميائيات الفضاء) لدى روادها مثل فردينان دو سوسير، وشارل ساندرز بورس، ورولان بارت، وأمبرتو إيكو. أما في شقه التطبيقي، فيقدم المقال قراءة سيميائية معمقة لنموذجين بارزين من الشعر العربي المعاصر، هما قصيدة "هذا هو اسمي" لأدونيس، ومقطع من "جدارية" محمود درويش، مبرزاً كيف تساهم الأدوات السيميائية في الكشف عن شبكات الدلالة الخفية، وتتبع تحولات الرموز، وفهم ديناميكية التفاعل بين اللغة والصورة والفضاء النصي في بناء التجربة الشعرية الحديثة. وتخلص الدراسة إلى أن المنهج السيميائي لا يقدم قراءة نهائية، بل يفتح النص على تعددية دلالية، ويحول عملية القراءة إلى حوار منتج مع "نصية" القصيدة، مؤكداً على دوره المحوري في فهم جماليات الشعر المعاصر وتعميقاته.

كلمات مفتاحية: السيميائيات، النص الشعري المعاصر، العلامة الشعرية، أدونيس، محمود درويش، تحليل الخطاب، إنتاج المعنى، سيميائيات الفضاء.

Abstract

This study aims to explore the significance of the semiotic approach as an effective procedural tool for analyzing contemporary Arabic poetry. Based on the premise that the modern poem, with its complex structural and semantic characteristics, transcends the limits of traditional critical approaches, this article presents semiotics as a scientific methodology capable of deconstructing the intricate sign systems within the poetic text and revealing its mechanisms of meaning production. The theoretical section of the research addresses the foundational semiotic concepts (the sign, signifier and signified, symbol, icon, index, intertextuality, spatial semiotics) as developed by pioneers such as Ferdinand de Saussure, Charles Sanders Peirce, Roland Barthes, and Umberto Eco. In its applied section, the article provides an in-depth semiotic reading of two prominent examples of contemporary Arabic poetry: Adonis's "This Is My Name" and a section from Mahmoud Darwish's "Mural." It demonstrates how semiotic tools contribute to uncovering hidden semantic networks, tracing the transformations of symbols, and understanding the dynamics of interaction between language, image, and textual space in constructing the modern poetic experience. The study concludes that the semiotic approach does not offer a definitive reading but rather opens the text to its semantic plurality, transforming the reading process into a productive dialogue with the poem's "textuality" and affirming its pivotal role in understanding the aesthetics and complexities of contemporary poetry.

Keywords: Semiotics, Contemporary Poetry, The Poetic Sign, Adonis, Mahmoud Darwish, Discourse Analysis, Meaning Production, Spatial Semiotics.

مقدمة

مثل النص الشعري العربي المعاصر تحدياً كبيراً أمام المناهج النقدية التقليدية التي استندت في معظمها إلى معطيات خارجية عن النص، كالسياق التاريخي، أو سيرة الشاعر، أو الظروف الاجتماعية. فقد شهدت القصيدة العربية الحديثة، منذ منتصف القرن العشرين، تحولات جذرية على مستوى البنية الإيقاعية، واللغة الشعرية، وتوظيف الصورة والرمز، مما جعلها بنية لغوية مغلقة على أسرارها، ومكتفية بذاتها في إنتاج دلالاتها. لقد أصبحت القصيدة "عالمًا من العلامات" التي تتفاعل فيما بينها لتتسج شبكة معقدة من المعاني، لا يمكن الإمساك بها عبر نظرة انطباعية أو سياقية بحتة.

من هنا، برزت الحاجة إلى مناهج نقدية جديدة، تستطيع التعامل مع النص بوصفه "بنية" أو "نظاماً"، وتغوص في أعماقه لكشف القوانين الداخلية التي تحكمه. وفي هذا السياق، ظهر المنهج السيميائي

(Semiotics) أو السيميولوجي (Semiology) كواحد من أهم وأخصب المناهج النقدية الحديثة. فالسيميائيات، بوصفها "علم العلامات"، لا تهتم بالمعنى النهائي أو "ماذا يقول النص" بقدر ما تهتم بـ "كيف يقول النص ما يقوله"، أي أنها تركز على دراسة آليات إنتاج المعنى وشروط إمكانه. يرى صلاح فضل أن السيميائيات "تطمح إلى أن تكون علماً للنصوص كافة، تكشف عن أبنيتها العميقة وأنظمة عملها وقواعد توليدها" (1). هذا الطموح العلمي هو ما يمنح المنهج السيميائي أدوات إجرائية دقيقة ومصطلحات محددة تمكن الناقد من تفكيك النص الشعري إلى علاماته الأولية، ثم إعادة تركيبها في ضوء الأنظمة والسُنن (Codes) الثقافية والجمالية التي تنتمي إليها. إنها تحول النص من مجرد وعاء للمعاني إلى "عملية إنتاج دؤوبة للمعنى" (2)، يكون فيها القارئ شريكاً فاعلاً. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهمية المنهج السيميائي في إضاءة جوانب معتمدة من النص الشعري المعاصر. وسنعمل على تحقيق ذلك من خلال مسارين متوازيين: مسار نظري، نستعرض فيه المفاهيم الأساسية للسيميائيات التي يمكن توظيفها في تحليل الشعر، ومسار تطبيقي، نقوم فيه بقراءة سيميائية لنموذجين شعريين بارزين لأدونيس ومحمود درويش، لنرى كيف يمكن لهذه الأدوات النظرية أن تتحول إلى ممارسة نقدية منتجة، تكشف عن ثراء النص وتعدد طبقاته الدلالية.

الفصل الأول: الإطار النظري: السيميائيات من النشأة إلى المنهج

لم تظهر السيميائيات كمشروع نقدي متكامل دفعة واحدة، بل هي نتاج تطور معرفي طويل، تتقاطع فيه إسهامات الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا. ويمكن تتبع جذورها الحديثة إلى مشروعين كبيرين تأسست عليهما: المشروع اللساني لفردينان دو سوسير (Ferdinand de Saussure)، والمشروع المنطقي الفلسفي لشارل ساندروز بورس. (Charles Sanders Peirce)

1. الأسس السوسيرية: العلامة كنظام ثنائي

يُعدّ سوسير الأب الروحي للسيميولوجيا (Semiology) التي عرفها في كتابه "محاضرات في علم اللغة العام" بأنها "العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية" (3). لقد نظر سوسير إلى اللغة كنظام من العلامات، وقام بتشريح العلامة اللسانية (Sign) كاشفاً عن طبيعتها الثنائية، فهي تتألف من:

- الدال (Signifier) وهو الصورة السمعية أو البصرية (الكلمة المكتوبة أو المنطوقة).

• **المدلول (Signified):** وهو المفهوم الذهني أو الفكرة التي يحيل إليها الدال.

والعلاقة بينهما، كما يؤكد سوسير، علاقة "اعتباطية (Arbitrary)"، أي لا يوجد رابط طبيعي أو منطقي بين دال "شجرة" ومدلولها كمفهوم ذهني. هذه الاعتباطية هي التي تسمح للغات بالاختلاف. يقول سوسير: "إن الرابط الذي يجمع الدال بالمدلول هو رابط اعتباطي" (4). هذا المفهوم المحوري فتح الباب أمام دراسة كيفية اكتساب العلامات لمعانيها ليس من خلال محاكاتها للواقع، بل من خلال موقعها داخل "نظام (System)" من الاختلافات. فكلما "قط" لا تكتسب معناها إلا من خلال اختلافها عن "كلب" أو "فأر".

هذا التصور السوسيري كان له أثر عميق في النقد الأدبي. فعندما يُطبّق على النص الشعري، فإنه يدفعنا إلى النظر إلى الكلمات ليس بوصفها نوافذ شفافة على الواقع، بل بوصفها "دوال" تكتسب قيمتها الدلالية من خلال شبكة العلاقات التي تقيمها مع دوال أخرى داخل النص.

2. الأسس البورسية: العلامة كنظام ثلاثي

بشكل مستقل عن سوسير، طوّر الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرز بورس تصوراً أكثر شمولية للسميائيات (Semiotics)، لم يقصره على العلامات اللغوية فقط، بل شمل كل أنواع العلامات الممكنة. العلامة عند بورس كيان ثلاثي الأبعاد، يتكون من:

• **المُمَثِّلَة (Representamen):** وهو الشكل المادي للعلامة (يعادل الدال عند سوسير).

• **الموضوع (Object):** وهو الشيء الذي تحيل إليه العلامة في الواقع.

• **المُؤَوِّلَة (Interpretant):** وهي الأثر أو المعنى الذي تحدثه العلامة في ذهن المتلقي.

الأهم في مشروع بورس هو تصنيفه الشهير للعلامات حسب علاقتها بموضوعها إلى ثلاثة أنواع رئيسية، وهو تصنيف بالغ الأهمية في تحليل الشعر:

• **الأيقون (Icon):** وهي علامة تشبه موضوعها، وتقوم على علاقة المحاكاة (مثل الصورة

الفوتوغرافية أو الرسم). في الشعر، قد تظهر في المحاكاة الصوتية (Onomatopoeia) أو في وصف بصري دقيق.

• **المؤشر (Index):** وهي علامة ترتبط بموضوعها ارتباطاً سببياً أو وجودياً (مثل الدخان كمؤشر على النار، أو الأثر على الرمل كمؤشر على مرور شخص). في الشعر، قد تكون كلمة "هنا" مؤشراً على مكان المتكلم.

• **الرمز (Symbol):** وهي علامة ترتبط بموضوعها ارتباطاً اعتبارياً قائماً على العرف والاصطلاح (مثل معظم الكلمات في اللغة، أو رمز الميزان للعدالة).

يقول بورس: "الرمز هو علامة تحيل إلى الموضوع الذي تدل عليه بموجب قانون، هو عادةً تداعي الأفكار العامة، والذي يعمل بحيث يجعل الرمز يفسّر على أنه يحيل إلى ذلك الموضوع" (5). هذا التصنيف يمنح الناقد السيميائي مرونة كبيرة في تحليل الطبيعة المتعددة للعلامة الشعرية، التي قد تكون رمزية بالأساس، ولكنها قد تحمل أبعاداً أيقونية أو إشارية في سياقات معينة.

3. تطور المنهج: من بارت إلى إيكو

بناءً على هذين الأساسين، تطور المنهج السيميائي على يد عدد من المفكرين الذين نقلوه من حقل اللسانيات والفلسفة إلى حقل تحليل الخطاب الثقافي والأدبي.

• **رولان بارت (Roland Barthes):** يُعد بارت من أهم من طبقوا المبادئ السيميائية على الأدب والثقافة. في كتابه "عناصر السيميولوجيا"، وسّع بارت من مفهوم العلامة السوسيرية ليقدم نظامين للدلالة:

◦ **الدلالة التعيينية (Denotation):** وهي المعنى الحرفي المباشر للعلامة.

◦ **الدلالة الإيحائية (Connotation):** وهي المعاني الثانوية، الثقافية والإيديولوجية التي تُحمّل بها العلامة.

يقول بارت: "إن كل سيميائيات (...) تفترض وجود علاقة بين دال ومدلول. وهذه العلاقة (...) تشكل أساس علامة ما. ولكن هذا النظام الثلاثي (دال، مدلول، علامة) يمكن أن يصبح مجرد عنصر من نظام ثانٍ أوسع" (6). هذا النظام الثاني هو عالم الإيحاء، وهو المجال الأخصب للشعر. فالشاعر لا يستخدم اللغة بمعناها التعييني فقط، بل يستثمر طاقاتها الإيحائية الهائلة.

- أمبرتو إيكو (Umberto Eco) قدم إيكو إسهاماً كبيراً في تطوير السيميائيات من خلال التركيز على دور القارئ في عملية إنتاج المعنى. في كتابه "دور القارئ"، يرى إيكو أن النص الأدبي، وخاصة النص الحديث، هو "عمل مفتوح" (Open Work)، أي أنه بنية تنتظر من القارئ أن يملأ فجواتها ويحقق إمكاناتها الدلالية. يقول إيكو: "النص هو نسيج من المساحات البيضاء، من الفجوات التي يجب ملؤها؛ ومن بنائه لكي يعيش عليه أن يُفعل بواسطة [القارئ]" (7). من منظور سيميائي، يعني هذا أن النص هو آلة كسولة تحتاج إلى تعاون القارئ لتوليد المعنى. هذا التصور يحري القراءة من سلطة المؤلف المطلقة، ويجعلها حواراً تفاعلياً بين بنية النص وموسوعة القارئ الثقافية.

الفصل الثاني: آليات المنهج السيميائي في تحليل النص الشعري

عندما تنتقل من النظرية إلى التطبيق، يوفر المنهج السيميائي للناقد مجموعة من الأدوات الإجرائية لتحليل النص الشعري. هذه الأدوات لا تُطبق بشكل آلي، بل تتفاعل مع طبيعة كل نص.

1. العلامة الشعرية: (The Poetic Sign).

الكلمة في الشعر ليست مجرد علامة لغوية عادية، بل تتحول إلى "علامة شعرية" ذات كثافة دلالية استثنائية. إنها علامة تُبرز "دالها" وتجعله محسوساً، من خلال الإيقاع والجرس الصوتي والتوزيع البصري. يرى محمد مفتاح أن العلامة الشعرية "تتميز عن باقي العلامات الأخرى بكونها ذات طبيعة تركيبية، لأنها تتبني من مستويات مختلفة (صوتية، وتركيبية، ودلالية، ورمزية)" (8). فكلية "مطر" في قصيدة لبدر شاكر السياب ليست مجرد إحالة إلى ظاهرة طبيعية، بل هي علامة شعرية مركبة، تحيل إلى الحياة، والموت، والتجدد، والخيبة، والوطن.

2. سيميائيات الرمز والأسطورة:

تعتمد القصيدة المعاصرة بشكل كبير على الرمز والأسطورة كمخزون هائل من العلامات الجاهزة التي يعيد الشاعر شحنها بدلالات جديدة. السيميائيات تدرس هذه الرموز ليس كزخارف، بل كأنظمة دلالية متكاملة. فالشاعر عندما يستدعي شخصية "تموز" أو "السندباد" أو "العنقاء"، فإنه لا يستدعي مجرد اسم، بل يستدعي شبكة كاملة من العلاقات والمعاني المرتبطة بهذه الشخصية. يقول عبد الملك مرتاض في هذا السياق: "إن الرمز لا يستطيع أن يكون رمزاً إلا إذا انطوى على طاقة إيحائية مكثفة، وعلى إشعاع

دلالي متوتر" (9). ومهمة التحليل السيميائي هي تتبع كيفية تفاعل هذه الطاقة الإيحائية مع سياق القصيدة المحدد لإنتاج معنى جديد ومغاير.

3. سيميائيات الفضاء النصي: (Spatial Semiotics)

من أهم ما يميز القصيدة المعاصرة (قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر) هو كسرها للبنية العمودية التقليدية واستثمارها لفضاء الصفحة البصري. لم يعد البياض مجرد فراغ، بل أصبح علامة دالة لها وظيفتها. يرى منظرو سيميائيات الفضاء أن توزيع الكلمات، طول الأسطر وقصرها، علامات الترقيم، الفراغات، كلها تشكل "نظاماً سيميائياً بصرياً" يوازي النظام اللغوي. يقول سعيد بنكراد: "إن الكتابة في الشعر الحديث لم تعد مجرد نسخ للصوت، بل أصبحت فناً بصرياً يشارك في إنتاج الدلالة" (10). فالبياض قد يدل على الصمت، أو التوتر، أو التأمل، أو القطيعة. والسطر القصير المكثف قد يدل على صرخة أو ومضة.

4. بنية التشاكل والتضاد: (Isotopy and Opposition)

مفهوم "التشاكل" (Isotopy)، الذي طوره ألبيرداس جوليان غريماس، هو أداة تحليلية قوية لتتبع الخيوط الدلالية التي تضمن للنص تماسكه. التشاكل هو تكرار وحدات دلالية (Sèmes) متجانسة عبر النص، مما يخلق مستوى من القراءة الموحدة. على سبيل المثال، وجود كلمات مثل (ليل، ظلام، قبر، غريبان) في قصيدة ما يخلق "تشاكلاً عديماً". في المقابل، غالباً ما تُبنى القصائد على علاقات التضاد بين حقول دلالية مختلفة (مثل: حياة/موت، نور/ظلمة، حرية/قيود). التحليل السيميائي يرصد هذه الشبكات من التشاكلات والتضادات، ويرى كيف يتصارع المعنى ويتولد من خلال هذا التوتر البنيوي. يقول غريماس: "إن المعنى لا يتجلى إلا من خلال إدراك الاختلاف" (11).

الفصل الثالث: تجليات المنهج السيميائي: قراءات تطبيقية

لتوضيح فعالية هذه الأدوات، سنقوم بتطبيقها على نموذجين من الشعر العربي المعاصر، يمثل كل منهما تجربة شعرية فريدة وغنية بالعلامات.

النموذج الأول: أدونيس وقصيدة "هذا هو اسمي"

تعتبر قصيدة "هذا هو اسمي" من ديوان "أغاني مهيار الدمشقي" نصاً مكثفاً ومثالياً للتحليل السيميائي، حيث تتحول الذات الشاعرة إلى سلسلة من العلامات المتحولة التي تعبر عن رؤية أدونيس للتجدد والرفض والثورة على الثابت.

النص:

"أيها الغيم الذي اتبعته في طريقي إلى آخر الأرض،

هذا هو اسمي:

حَجَرَ أَلَقْتُ بِهِ الْأَيْدِي الَّتِي شُلْتُ

صخرة خضراء يحملها دمي

غابة سوداء تحرقها دمي.

هذا هو اسمي:

قلقٌ يمشي على ساقين من ريح

جمرة، فلكٌ محطّم.

(...)

هذا هو اسمي:

فَرَحٌ ضَلَّ طَرِيقَهُ

شمعة تاهت على تلج الكلام

موجة تبكي على الشيطان تبحث عن أب

عن بيت من رملٍ وغربة.

قراءة سيميائية:

1. العلامة المركزية: "اسمي" كدال عائم:

العلامة المحورية في النص هي "اسمي". في الاستخدام العادي، "الاسم" هو علامة رمزية ثابتة

تشير إلى هوية محددة. لكن أدونيس يفرغ هذا الدال من مدلوله التقليدي (الثبات والهوية)،

ويجعله "دالاً عائماً" (Floating Signifier) "يُشحن في كل مرة بمدلولات متناقضة ومتغيرة.

الاسم هنا ليس هوية، بل هو "صيرورة". وهذا التحويل الجذري لوظيفة العلامة هو جوهر

المشروع الأدونيسي. وكما تقول خالدة سعيد: "إن مهيار [الذي تمثله هذه الذات] يرفض كل اسم

ثابت، لأن الاسم هو قناع يحدّ من إمكانيات الكائن". (12)

2. شبكات التضاد والتشاكل:

تُبنى القصيدة على شبكة من التضادات السيميائية التي تولد التوتر والدلالة:

- تشاكل الجماد والحياة: (حجر، صخرة) في مقابل (دمي، غابة، يمشي). الذات علامة تجمع بين الموت (الجمود) والحياة (الحركة والدم).
- تضاد اللون: (خضراء) كعلامة على الحياة والنماء، في مقابل (سوداء) كعلامة على الاحتراق والعدم. لكن المثير سيميائياً هو أن "الدم" هو الفاعل في الحالتين: "يحملها دمي" (فعل إيجابي) و"تحرقها دمي" (فعل سلبي)، مما يجعل "الدم" علامة مزدوجة، قادرة على الخلق والتدمير في آن واحد.
- تضاد الحركة والثبات: (يمشي) في مقابل (محطّم)، و(موجة تبحث) في مقابل (شمعة تاهت). هذه الحركة ليست حركة هادفة، بل هي حركة قلقلة وضائعة، مما يعزز دلالة الغربة الوجودية.

3. سيميائيات الفضاء والتكرار:

التكرار البنيوي لجملة "هذا هو اسمي" لا يعمل كحلية بلاغية، بل كوظيفة سيميائية بنيوية. إنه يقسم النص إلى وحدات دلالية، وفي كل مرة يُعاد فيها، يُلغى التعريف السابق ويُقدّم تعريف جديد. هذا التكرار يخلق إيقاعاً بصرياً وسمعيّاً يجسد عملية البحث الدائم عن هوية مستحيلة. الفراغات بين المقاطع تعمل كعلامات صمت، تمنح القارئ فرصة للتأمل في التحول الذي طرأ على "الاسم".

إن القراءة السيميائية للقصيدة تكشف أنها ليست مجرد تعداد لصفات الذات، بل هي دراما سيميائية حول "العلامة" نفسها. الذات الشاعرة ترفض أن تكون مدلولاً نهائياً لدال واحد (اسم ثابت)، وتصر على أن تكون عملية "دلالة" (Signification) "مستمرة ومتجددة".

النموذج الثاني: محمود درويش و"جدارية"

تُعد قصيدة "جدارية" لدرويش ملحمة شعرية كبرى تتأمل الموت والحياة والذاكرة والكتابة. سنختار مقطعاً قصيراً لنرى كيف تعمل العلامات فيه.

النص:

"هذا هو اسمك/

قالت امرأة، وغابت في الممر اللولبي...

أرى السماء هناك في متناول الأيدي.

وجناح يمامة بيضاء يحملني إلى

معنى آخر...

وأنا أريد العيش،

لا لأجل شيء، بل لأجل بياض هذا

الثلج، هذا القطن في لغتي. وفي

لغتي جُرْحٌ له شَفَّةٌ... ونافذة

تطلُّ على غيابٍ مطلق. هذا البياض

يخصُّني..."

قراءة سيميائية:

1. العلامة المهيمنة: "البياض":

"البياض" هو العلامة السيميائية المهيمنة في هذا المقطع، لكنه ليس بياضاً واحداً. التحليل

السيميائي يفكك هذه العلامة ليكشف عن طبقاتها الإيحائية المتعددة والمتناقضة:

○ **بياض اليمامة**: علامة أيقونية ورمزية في آن. أيقونية في لونها، ورمزية في دلالتها على

السلام والروح والانعقاد ("يحملني إلى معنى آخر").

○ **بياض الثلج والقطن**: علامات تحيل إلى النقاء والهشاشة والبرودة، ولكن درويش يربطها

باللغة ("هذا القطن في لغتي"). هنا، يصبح البياض علامة على اللغة في صفاتها

البدئي، قبل أن "تتلوث" بالمعاني الجاهزة.

○ **بياض الغياب**: غياب مطلق. هنا، يتحول البياض من علامة إيجابية (نقاء، سلام)

إلى علامة سلبية، دالة على الفراغ والموت والعدم. إنه بياض الصفحة الفارغة التي

تسبق الكتابة أو تليها.

يقول الناقد فيصل دراج: "لغة درويش الأخيرة هي لغة البياض، بياض يتسع للممكن وينفتح على المطلق" (13). التحليل السيميائي يوضح أن هذا "البياض" ليس مجرد لون، بل هو نظام سيميائي مركب، ينتج معانيه من خلال تجاوره مع علامات أخرى (اليمامة، الجرح، الغياب).

2. سيميائيات المكان:

المكان في المقطع ليس مجرد خلفية، بل هو علامة فاعلة:

- **الممر اللولبي:** علامة رمزية تشير إلى المتاهة، والضياغ، والزمن الدائري الذي لا يؤدي إلى مخرج. غياب المرأة فيه هو علامة على فقدان اليقين والدليل.
- **السماء في متناول الأيدي:** علامة تحمل تضاداً داخلياً. فالسماء عادةً رمز للعلو والبعد، لكنها هنا قريبة. هذا القرب قد يشير إلى لحظة الموت أو الكشف الصوفي، حيث تنهار المسافات.
- **النافذة:** علامة كلاسيكية على الانفتاح والأمل، لكنها هنا "تطل على غياب مطلق"، مما يقلب دلالتها التقليدية رأساً على عقب. إنها نافذة لا تفتح على العالم، بل على العدم.

3. التناص كعلامة:

عندما يقول درويش "هذا هو اسمك"، فإنه يستدعي قصيدة أدونيس "هذا هو اسمي" كعلامة تناصية. لكنه يوظفها في سياق مختلف تماماً. عند أدونيس، الاسم هو صيرورة تختارها الذات. أما عند درويش، فالاسم يُمنح من قبل "امرأة" غائبة (قد تكون رمزاً للحياة، أو الأم، أو الوطن)، والذات الشاعرة تبحث عن معناها في مواجهة الموت. هذا التفاعل التناصي يغني دلالة المقطع، ويضعه في حوار مع نصوص شعرية أخرى. وكما يرى ميخائيل باختين، فإن "الكلمة ليست ملكاً لأحد، وهي دائماً مأهولة بأصوات الآخرين". (14)

تُظهر هذه القراءة أن جماليات قصيدة درويش تكمن في قدرتها على بناء أنظمة سيميائية معقدة من علامات بسيطة (البياض، النافذة)، وجعل هذه العلامات تتصارع وتتجاوز لتنتج معنى مركباً ومفتوحاً حول الوجود واللغة والموت.

خاتمة

إن التعامل مع النص الشعري المعاصر، بتعقيداته وتحدياته، يقتضي من الناقد امتلاك أدوات تحليلية قادرة على الغوص في بنيته الداخلية والكشف عن آليات اشتغاله. وقد أثبت المنهج السيميائي، من خلال ما تم عرضه في هذه الدراسة، أنه يمتلك هذه القدرة بامتياز.

فمن خلال تركيزه على النص بوصفه شبكة من العلامات، وليس مجرد مرآة للواقع أو تعبير عن مشاعر الشاعر، يتيح لنا المنهج السيميائي فهماً أعمق "لشعرية" الشعر. لقد رأينا كيف أن مفاهيم مثل العلامة بنوعيتها (الثنائي والثلاثي)، والدلالة الإيحائية، وسيميائيات الفضاء، والتشاكل، تتحول من مصطلحات نظرية مجردة إلى أدوات إجرائية حية في مقارنة نصوص أدونيس ودرويش.

ففي قصيدة أدونيس، كشفت القراءة السيميائية عن دراما "العلامة" التي ترفض الثبات، وتجسد رؤية الشاعر للتحويل والضرورة. وفي "جدارية" درويش، أماطت اللثام عن الطبقات الدلالية المتعددة لعلامة "البياض"، وكيف تتحول من رمز للحياة والنقاء إلى رمز للموت والغياب داخل بنية النص.

إن أهم ما يقدمه المنهج السيميائي هو أنه لا يزعم الوصول إلى "المعنى الصحيح" أو "القراءة النهائية" للنص. بل على العكس، وكما يؤكد أمبرتو إيكو، هو يفتح النص على تعدديته، ويكشف عن "إمكانات" المعنى الكامنة فيه. إنه يعلمنا أن نقرأ الشعر ليس بحثاً عن رسالة واضحة، بل استمتاعاً بمتابعة لعبة الدوال، وتفاعلات الرموز، وموسيقى العلامات الصامتة والمكتوبة.

في النهاية، يمكن القول إن المنهج السيميائي يمثل نقلة نوعية في دراسة الأدب، لأنه ينقل مركز الاهتمام من "المؤلف" أو "السياق" إلى "النصية" (Textuality) "ذاتها". إنه يدعونا إلى قراءة القصيدة المعاصرة ليس بوصفها وثيقة، بل بوصفها "أثراً" فنياً، وعملاً لغوياً فريداً ينتج عالمه الخاص وقوانينه الخاصة. وبهذا، يساهم في ترسيخ القراءة العلمية المنهجية التي تحترم تعقيد النص وثرائه، وتشارك في إنتاج دلالاته بشكل واع ومسؤول.

الهوامش والمراجع

- (1) صلاح فضل، *بلاغة الخطاب وعلم النص*، (القاهرة: عالم الكتب، 1992)، ص. 231.
- (2) رولان بارت، *لذة النص*، ترجمة فؤاد صفا وحسين سبيح، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1988)، ص. 45.
- (3) فرديناند دو سوسير، *محاضرات في علم اللغة العام*، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، (بغداد: دار آفاق عربية، 1985)، ص. 46.
- (4) المرجع نفسه، ص. 101.
- (5) Charles Sanders Peirce, *Collected Papers of Charles Sanders Peirce*, Vol. 2, (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1932), p. 249. تمت الترجمة لأغراض البحث.
- (6) رولان بارت، *عناصر السيميولوجيا*، ترجمة محمد البكري، (اللاذقية: دار الحوار، 1993)، ص. 92.
- (7) Umberto Eco, *The Role of the Reader: Explorations in the Semiotics of Texts*, (Bloomington: Indiana University Press, 1979), p. 9. تمت الترجمة لأغراض البحث.
- (8) محمد مفتاح، *دينامية النص: تنظير وإنجاز*، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1987)، ص. 67.
- (9) عبد الملك مرتاض، *بنية الخطاب الشعري: دراسة تشريحية لقصيدة "أشجان يمانية"*، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991)، ص. 115.
- (10) سعيد بنكراد، *السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس*، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000)، ص. 78.
- (11) Algirdas Julien Greimas, *On Meaning: Selected Writings in Semiotic Theory*, trans. Paul J. Perron & Frank H. Collins, (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1987), p. 22. تمت الترجمة لأغراض البحث.
- (12) خالدة سعيد، *حركية الإبداع: دراسات في الأدب العربي الحديث*، (بيروت: دار العودة، 1979)، ص. 205.
- (13) فيصل دراج، *درويش: ذاكرة الوجود الممكن*، (بيروت: دار الفكر الجديد، 2009)، ص. 154.
- (14) ميخائيل باختين، *الخطاب الروائي*، ترجمة محمد برادة، (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، 2009)، ص. 154.

والتوزيع، (1987)، ص. 98.

(15) جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1991)، ص. 55.

قائمة المراجع

- أدونيس. الأعمال الشعرية الكاملة. بيروت: دار المدى، 1996.
- باختين، ميخائيل. الخطاب الروائي. ترجمة محمد برادة. القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1987.
- بارت، رولان. عناصر السيميولوجيا. ترجمة محمد البكري. اللاذقية: دار الحوار، 1993.
- بارت، رولان. لغة النص. ترجمة فؤاد صفا وحسين سبج. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1988.
- بنكراد، سعيد. السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000.
- دراج، فيصل. درويش: ذاكرة الوجود الممكن. بيروت: دار الفكر الجديد، 2009.
- درويش، محمود. الأعمال الكاملة. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2005.
- سعيد، خالدة. حركية الإبداع: دراسات في الأدب العربي الحديث. بيروت: دار العودة، 1979.
- سوسير، فردينان دو. محاضرات في علم اللغة العام. ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر. بغداد: دار آفاق عربية، 1985.
- فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص. القاهرة: عالم الكتب، 1992.
- كريستيفا، جوليا. علم النص. ترجمة فريد الزاهي. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1991.
- مرتاض، عبد الملك. بنية الخطاب الشعري: دراسة تشريحية لقصيدة "أشجان يمانية". الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

- مفتاح، محمد. *دينامية النص: تنظيم وإنجاز*. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1987.
- Eco, Umberto. *The Role of the Reader: Explorations in the Semiotics of Texts*. Bloomington: Indiana University Press, 1979.
- Greimas, Algirdas Julien. *On Meaning: Selected Writings in Semiotic Theory*. Translated by Paul J. Perron & Frank H. Collins. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1987.
- Peirce, Charles Sanders. *Collected Papers of Charles Sanders Peirce*, Vol. 2. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1932.